السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤٣)

﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ

تَعَالَوْا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَرَى مَا هِيَ أَهَمُّ الأُمورِ الَّتي حَدَثَتْ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ :

بِدَايَةُ كَثْرَةِ الوُفُودِ الَّتِي قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مِنْهَا وُفُودٌ تَبْحَثُ عَنِ الحَقِيْقَةِ ، وَأُخْرَىٰ تُعْلِنُ وَلاءَهَا لِلإِسْلامِ ، وَثَالِثَةٌ تُرِيْدُ أَنْ تَسْمَعَ القُرآنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشَكْلٍ مُبَاشَرٍ...

ففي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ

مُعَاوِيَةَ عَمِّ الفَرَزْدَقِ أَنَّه أَتىٰ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَرأَ عَلَيْهِ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) .

قَالَ : حَسْبِي ، لا أُبَالي ألا أَسْتَمَعَ غَيْرَهَا .

مثالٌ آخر : وَفْدُ بَلِيٍّ ، حيثُ رَوَتْ كُتُبُ السِّيْرَةِ أَنَّه قَدِمَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ بلِيّ في ربيعٍ الأَوَّل سَنَة تِسْعٍ ، فَأَنْزَلَهُمْ رُوَيْفِعُ بْنُ ثَابِتٍ البَلَوِيُّ عِنْدَهُ ، وَقَدِمَ بِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : هَؤُلاءِ قَوْمِيْ .

فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ : « مَرْحَباً بِكَ وَبِقَوْمِكَ! » .

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ـ ٨ .

فَأَسْلَمُوا ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلإِسْلامِ ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْكُم عَلَىٰ غَيْرِ الإِسْلامِ فَهُوَ فِي النَّارِ » .

فَقَالَ لَهُ شَيْخُ الوَفْدِ ـ وَهُوَ أَبُو الضُّبَيْبِ ـ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنّ لي رَغْبَةً في الضِّيَافَةِ ، فَهَلْ لِيْ في ذَلِكَ أَجْرٌ ؟

قَالَ : « نَعَمْ ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَنَعْتَهُ إِلىٰ غَنِيٍّ ، أَوْ فقيرٍ فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، مَاوَقْتُ الضِّيَافَةِ ؟

قَالَ : « ثَلاثَةُ أَيَّامٍ . فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ فَيُحْرِجَكَ » .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ . أَرَأَيْتَ الضَّالَّةَ مِنَ الغَنَمِ أَجِدُهَا في الفَلاةِ مِنَ الأَرْضِ ؟

قَالَ : « لَكَ أَوْ لأَخِيْكَ أَوْ للذِّئْبِ » .

قَالَ : فَالبَعِيْرُ ؟

قَالَ : « مَالَكَ وَلَهُ ؟ دَعْهُ حتَّىٰ يَجِدَهُ صَاحِبُهُ » .

قَالَ رُوْيفِعُ : ثُمَّ قَامُوا فَرَجَعُوا إلىٰ مَنْزِلي ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَأتي مَنْزِلي يَحْمِل تَمْراً ، فَقَالَ : « اسْتَعِنْ بِهَذَا التَّمْر » .

فَكَانُوا يَأكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَأَقَامُوا ثَلاثَاً ، ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وَأَجَازَهُمْ ، وَرَجَعوا إلى بِلادِهِمْ .

وَفي تِلْكُمُ السنَةِ هَجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ ، وَخَيَّرَهُنَّ بَيْنَ قَبُولِ الله والرَّسُولِ وَالآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الدُّنْيَا!!

وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّخْيير بِعَائِشَةَ رَضي الله عَنْهَا ، فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ! إِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أَعْرِض عَلَيْكِ أَمْرَاً أُحِبُّ ألا تَعْجَلِي فِيْهِ حتَّىٰ

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ـ٢٩ .

تَسْتَشِيْرِي أَبَوَيْكِ » .

قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُوْلَ اللهِ ؟ !

فَتَلا عَلَيْهَا آياتِ التَّخْييرِ ، فَقَالَتْ : أَفِيْكَ يَا رَسولَ اللهِ أَسْتَشِيْرُ أَبَوَيَّ ؟ بَلِ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، وَأَسْأَلُكَ ألا تُخْبِرَ امْرأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِيْ قُلْتُ .

فَقَالَ : « لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلا أَخْبَرْتُهَا ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتاً وَلا مُتَعَنِّتاً ، وَلكنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّراً » .

* * *

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ !

وفي السَّنَةِ العَاشِرَةِ لِلْهِجرة أَعْلَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّه سَيَحُجُّ إلى بَيْتِ الله الحَرامَ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصْحَبَهُ فَلْيَفْعَلْ .

فَقَدِمَ الْمَدِيْنَةَ المُنَوَّرَةَ نَاسٌ كَثيْرُون ، كُلُّهُم يَلْتَمِسُ بَرَكَاتِ الحَجِّ مَعَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ .

وفي أَوَاخِرِ شَهْرِ ذِيْ القِعْدَةِ تَحَرَّكَ المَوْكِبُ الكَبِيْرُ باتِّجَاهِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ .

وَقُبَيْلَ الإحْرَامِ كَانَ الاغْتِسالُ ، وَالتَّطَيُّبُ ، واللِّباس ، وفي مِنْطقَةِ (ذِيْ الحُلَيْفَةَ) كانَ الإحْـرَامُ ، والتَّلْبِيَـةُ « لَبَّيْـكَ اللَّهُـمَّ لَبَّيْـك وَسَعْدَيكَ ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ ، لَبَّيْكَ وَالدُّعَاءُ والرَّغْبَاء إلَيْكَ وَالْعَمَلُ » .

« ...لَبيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكُ ، لا شَرِيْكَ لَك » .

« .. لَبَّيْكَ حَجّاً حَقّاً ، تَعَبُّدَاً وَرِقّاً » .

وَكَـانَ المُسْلِمُـونَ يَـرْفَعُـونَ أَصْـوَاتَهُـمْ بِالتَّلْبِيَةِ وَالدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ... ، حَتَّىٰ إذَا ما وَصَلَ المَـوْكِـبُ إلـى مَكَّـةَ المُكَـرَّمَـةَ ، وَشَـارَفَ

الرَّسُولُ ﷺ على البَيْتِ الحَرَامِ ، رَاحَ يُرَدِّدُ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ فَحيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلام ، اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا البَيْتَ تَشْرِيْفَاً ، وَتَعْظِيْمَاً وَمَهَابَةً ، وَزِدْ مَنْ حَجَّهُ أَوِ اعْتَمَرهُ تَكْرِيْمَاً وَتَشْرِيْفَاً ، وَتَعْظِيْمَاً وَبِرَّاً » .

ثُمَّ طَافَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَمِنْ وَرَائِهِ المُسْلِمُونَ ـ بِالبَيْتِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ قَبَّلَهُ وَبَكَى ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِعُمَر بْن الخَطَّابِ يَبْكِي .

فَقَالَ : « يَا عُمَرُ! هَا هُنَا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ » .

ثُمَّ صَلَّىٰ عِنْدَ مَقَامِ الخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمَ

رَكْعَتَيْنِ ، قَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ :

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] . ، وَقَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ سُوْرَةَ (الكافِرون) وَسُوْرَةَ (الإخلاص) .

ثُمَّ سعىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَة وَهُوَ يَقُوْلُ : « لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ، لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَه ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

ثُمَّ صَعِدَ إلى عَرَفَاتٍ ، وَهُنَاكَ خَطَبَ خُطْبَتَهُ العَصْماءَ ، وَهِيَ المَعْرُوفَةُ بِخُطْبَةِ

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .

حَجَّةِ الوَدَاعِ ، جَاءَ في مُقَدِّمَتِها قَوْلُهُ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذا بهَذَا المَوْقِفِ أَبَدَاً ، أَيُّها النَّاسُ ، إنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلىٰ أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا... » . وفيها أَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَهُ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

ثُمَّ صَلَّىٰ الرَّسولُ بالنَّاسِ إِمَامَاً صَلاة المَغْرِب وَالعِشَاءِ في المُزْدَلِفَةِ جَمْعاً وَقَصْراً ، وَبَعْدَ الرَّمْي ، والنَّحْر ، انْطَلَق الرَّسُول صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ إلى مَكَّةَ ، فَطَافَ

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

طَوَاف الإفَاضَةِ ، ووَدَّعَ البَيْتَ الحَرَامَ... ، بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ مُتَّجِهَاً إلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَلَمَّا دَخَلَ المَدِيْنَةَ قال : « آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ الله وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وَدَخَلَ مَسْجِدَهُ الشَّرِيْفَ ، وَرَكَعَ فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ مَنْ جَاءَ لاسْتِقْبَالِهِ ، وَأَوْصَى المُسْلِمِيْنَ جُمْلَةً مِنَ الوَصَايا ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيه : « أَيُّهَا الناس إِنِّي عَنْ أَبِيْ بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرِ ، وَسَعْدٍ ، وَعَبْد

الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَالمُهَاجِرِيْنَ ، وَالأَنْصَارِ راضٍ ، فَاعْرِفُوا ذَلكَ لَهُمْ » .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *